﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي آمالا كباراً ، وهاج من قلبي مُرامي بعاداً ، ورأيته يتفق معي في الغاية؛ ويلاقي قلمه قلمي في النهاية ، الا انه سار اليها من طرق المعارف التشريحية، وانحى اليها وجهة علم الظواهر الحيوية ، وناط ذلك المستقبل بالفواعل الطبيعية ، والاحوال الوسطية ، من كثرة السكان ، وخصوبة المكان ، وعدم امكان الانسان المعيشة في كل مكان ، وهي قضايا يتناولها النقد ، ويمكن فيها الاخذ والرد ، والاقبال والصد ، إن رضيها (جوستاف لوبون) رفضها (لينيه) و (كاترفاج)و (داروين)و (وروسل ولاس) و(هكسلي) و (لامارك)و (كوفيه)و (بوفون)وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين . على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

يناسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحري افكار الافراد لتكين الخواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه الحق الصميم، والنور الصريح، والكلمة العليا؛ والمحجة البيضاء، أنشودة الانسان، وضالة العرفان؛ ونظام العلم والدين؛ وسلك الفلسفة الحسية واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية؛ المنحطة في درجات المدنية؛ والعلوم الكونية؛ فسينشره غداً علماء الفلسفة الحسية، ويأتي فيخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخروية فقط هذه بعض مزايا الاسلام ونتابع بسيط لتعاليمه نسردها سرداً لبعض العقول البسيطة التي لا تدرك غيرها، ولا تتمسك بالدين الا من أجلها؛ أما غداً وليس ببعيد يوم تجيء دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وسلطة الطين الاصم وينتهي دور الزخارف الحيوانية؛ وتزول سلطنة البطن والاميال البهيمية؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني؛ كما انقلب من حال فطري الى حال فكري عقلي؛ فتشرق الروح في سمائه، وتزعج الانسان الى أداء مطالبها؛ وتصيح به لأن يعرج بها الى محتدها؛ ويصعد معها الى أوجها؛ كما كانت تزعجه المادة الى القيام برغائبها؛ وتميل به الى عالمها؛ وتطالبه بالركون الى طينها؛ ذلك اليوم تطلب الروح بابا لعروجها؛ وترتاد طريقا لصعودها؛ تلتفت الى جثمانها فتراه عبئا ثقيلا؛ ومانعاً كثيفا؛ وأنى له اختراق طبقات الاطافة الملكوتية بها؛ وكيف له السبح في العوالم النورانية معها؛ هنالك يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

وزخارف مادية؛ وأغذية دهنية وشحمية؛ وألبسة قطنية او حريرية، بل تنازع في كيفية اعتمادهما معاً على السبح في سبحات النور الاقدس؛ والجري يدا بيد في باحات الكمال الاقدم.

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يخيله الآن الا كبار الافئدة كبار العقول. هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وسلطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان العدالة المطلقة والمؤاسي بمراهمه الشافية القلوب اليائسة. هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لا أرواحهم فقط. هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها الاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير

فمستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق بعلو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به دينا إلهيا؛ ووحيا علويا؛ ولكن متى نصل اليه؛ وأي نوع من أنواع الوسائل نعول عليه؛ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد. يرى أن أنجع الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها؛ ومشاطرة الاجانب في لغاتهم والتعمق فيها؛ ويرجو لذلك أن تعقد جمعيات؛ وتشكل هيئات، وتنضم أصوات وتحد وجهات، وتتفانى هم أية؛ وتتكاتف عزائم إسلامية، وتبذل أنفس عزيزة وأرواح؛ وتباع في سبيل الوحدة بيع السماح؛ وكلها مطالب سامية؛ ورغائب عالية؛ ولكن هل تحقق؛

لنجل في إمكانها نظرا؛ ونعمل في احتمالها فكرا؛ فإن لاح لنا برق امل ضممنا صوتنا الى صوته؛ والا أبدينا فيها رأينا؛ وعززناه باسلوبنا؛

حكم السيد بان لا وطن للاسلام ولا جنسية ؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وآصرة الايمان ووشيجة اليقين . فلينظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لان تضم اجزاءنا وتلم شعثنا وتوجه عواطفنا الى الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظاماً ؛ ونرأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جساماً ؛ يضرب لنا السيد مثلا بالجمعيات الاجنبية التي تألفت للوحدة الايطالية ؛ والجامعة السلافية ، والجنسية السكسونية ، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الارمنية والمقدونية والكريدية ، ثم قال انها « تمثل أعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الاسر ، إلى أوج النصر ، والامة الاسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تتنفض انتفاض الطائر في شباك الصائد . ولا تعمل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدما ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده ، » ثم أردف ذلك بقوله : « ولا يعتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الاسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالخسران ، لكنها الغريزة التي ترى ان الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موتها وأن لا محيص من الصدر أو القبر »

نقول ولسنا بجبناء ولا مفقودي القلب ولا يائسين ولا مفتونين : لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي — ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العراني . ولو كان قبل ان كتب مقالته تدرق الوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بعشرين سنة وكان فيها من ضروب الحض والحث والتحميس مالا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تفتح أثرا ؛ ولم تحقق

لكاتبها ولا لخلافه أملا ، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات ، والإصاخة لتلك الهيعات ، أمر جلل وخطب كبير . ولتراءت له أدواء يجب فحصها وعلل لا ينجع دواء بوجودها .

قررت العلوم النفسية ، وحكمت المشاهدات الوجودية ، أن الانسان لا يعمل عملا بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمله او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعا عن حقيقتهم وقراءا دون حريمها ؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للاسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكني لا أحب أن أجعل للخيال سلطانا على قلمي ، ولا للحماسة التي تنطفئ بمجرد الكتابة نفوذا على إحساسي ؛ بل أعلم أني عائش في عصر الفلسفة الحسية . والمدنية المادية . والمعارف الطبيعية . وصرفت زمنا ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتي التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة علتنا من اصولها تهنا في تطبيبها وضللنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا . أما داؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظيفتها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة .

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ويحض على الاخذ بالماديات والمعنويات معاً وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية ، او انه

مهيب الجانب في بعض البلاد الاجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكه به في المجالس اظهاراً لغيرتهم على الاسلام وتحمساً لكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيأ لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الاجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تماليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منها ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماويا ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نعطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الاجنبية ويعتقدون حقيتها فاليه غير مضنون عليه

يقولون يامعشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم أنه ليس دينكم الا أثراً من آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (معاذالله) بان نواميس الكون كافية في تعليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لتوهم عالم علوي بعد هذه المرئيات المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها مظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من مزية الخلود بعد فنائه وتبعثر ذراته فما تبطله الشواهد العلمية ،

وتحيله البداهة التشريحية ، فقد قرر العلم (معاذ الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية ولا ميزة له على سواه من الانواع الحيوانية، بل ليس هو في ذاته الا حيواناً فاق في قوة التعقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من التعقل والادراك . واذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التعقل ما يدلك تمام الدلالة على أن العقل ليس يوقف على الانسان ولا هو وصفه المميز . فاذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة الى الحيوانات أيضاً ؟ اليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والعيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا امعان ؟ اما الفضائل التي تقرعون الآذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بسلاحها مدعين أنكم قادتها وزعماؤها . وان لكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لتعليم من التعاليم القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طبيعية تظهر في الامم الحية ظهور سائر آثار النواميس الاخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الا ترون أن كثيراً من المتدينين بعداء عن الفضيلة مغمورين في غمرات الرذيلة . ودونك الاحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الانسان ترى أن أكثر اصحاب الجرائم من المتدينين المتشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فريرو) و (سيرجي) ترى العجب العجاب . بل انظر بعينيك الى الامم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيرة على اليقين ألا تراها في حالة من الإجرام والتسفل تفضل عليها معها الامم التي تركت الاديان ، وجعلتها خبر الكان ، والتفتت للمدنية ، والعلوم الطبيعية ، فاصلحت شؤنها ، ودبرت أمورها ، فقامت على قطب الاستقامة والاستقلال ، ونحت منحى الكرامة والجلال ، فكشفت لها المدنية عن وجهها الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن ، فسيطرت على الامم الاخرى بعلومها وصناعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ، كما صارت بالنسبة اليهم علما في فضائلها وآدابها ؟ اذا كان لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضللة لادراك ؟ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلا بذاته من طينة علوية ، وانه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ، فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى ووشائج من الرحم ؟ اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت الانسان بغير دين ولا تطبع بضميره الا بطابعه فلماذا حرمتم من أصغر أنواعها وسبقكم في باحاتها من يقول أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والرذيلة كذلك . تنشأ الاولى عند ما تكون شؤن تلك الحياة جارية على سمت منتظم ملائمة لقوانين الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟؟

اما ما تزعمون من أن لا قوام للامم بغير الدين ، ولا نظام لهم سوى حبله المتين ، فما لا نحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ، فدونكم الامم الغربية الكبرى قد بنت عظمتها بملاشاته وأقامت وحدتها بمنابذة أشياعه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل المعالي أثراً جديداً ،

وفي حدائق الفخار والمجد صرحاً مشيداً، فان كان الحال كما تزعمون فما هذا الاثر المنعكس؟ وما تفسير هذا الامر الملتبس؟ اليست كل هذه البراهين المحسوسة دالةً على انكم متمسكون باقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع؟ لا جرم أنكم تتأخرون وتتقدم، وتخضعون ونحكم، ولا غرو أن علونا وسفلتم، وتعززنا وذللتم، كما لا عجب ان استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم، واستغللنا خيرات الطبيعة وحرمتم.

كل هذه الشبه المتماصية قد نشأت في وسط العلم الاوروبي ونبع سمها من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتاثت باكثر العقول أقذارها، وتسممت الفطر بسمومها. وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الاسلامية التي نهلت من دن العلوم الاجنبية فخلطتها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا تجاريها فيه هؤلاء ولا هؤلاء. وكفى امة عجزاً وضعفاً وقصوراً وتأخراً أن لا يكون لشبيتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تعتقدها وتتوق اليها، وتدأب للحصول عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد الاجنبية محلاً عالياً، وجعلتهم ينبذون معتقداتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم موقتاً غيرة قومية، وحمية جنسية او لغوية، لمّت شعثهم وضمت اجزاءهم حيناً ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رقيهم ومنبع نظامهم والتئامهم، ومنشأ قوتهم ووئامهم، هدم تعاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء. ثم لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمن ورأى قادتهم ورؤساء مصارفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالإدمان على متابعة السير في خطتهم هذه الهلاك المستأصل والجائحة الكبرى التي

تطفئ نور مدنيتهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الاثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تعطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنت فطرهم اليه حنين اليائس ينتظر فرجه ويتفسم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟؟ كانت الفلسفة الحية فلسفة (اجوست كونت) وأشياعه القائلين بأن المعقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وما لا حقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياع من قبيل ما لا يمكن إثباته ، وما لا بد من عدم الخوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت تعاليمه في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلا وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالأعناق خضوعا ، وبالأبصار والبصائر دهشة وخشوعا ، فنشأت ابحاث سموها (اينوتزم) و (مانيتزم) التنويم المغناطيسي و (اسبرتزم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدل منها عليهم على ان للانسان روحا وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والمجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألفوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المعارف العظام ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتفننين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله . فهم على هذا لم يقعدوا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شبكتنا التي جرفت من حوض علومهم ومعارفهم وشحنت في أدمغتها صور معارفهم لم يشؤا أن يوسعوا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الا قطرة من بحر لا تشفع صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد (لفوازيير) و (توسيلي) و (ماريوط) و (قولطا) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا مرمى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا شكلا مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كونت) و(داروين) بدون أن

يكلفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبها ، ولا أصول نظرياتها ، وكأنهم كفاهم في أن يكونوا (اوجوستيين) و(داروينيين) ان يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتها لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه مسالك الاستقراء والتحليل . ثم انهم على فرض تعمقهم في فلسفة علماء هذا العصر وتفلفلهم في مناحيها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكلفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهدمها هذه الابحاث أو هي بالعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه النشأة صاروا الهامة علوم العصر تاجا وفي ذروة العلاء الاسلامي علماً ، ولكنهم ويالاسف قليلو العدد مبثوثون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ما تألم ويرون أدواءها مثل ما نرى .

هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرفتها الينا مدنية اوروبا والصقتها باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصبيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الارواح ، وبيع المهج بيع السماح ؟ اللهم لا . أذن فلنختر احد أمرين اما أن نقلب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها وهيهات ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة . وإما ان نتعهد رابطتنا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الاذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية النائمة نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدامغة . وانوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليه وعليهم وتابعيهم آمين

محمد فريد وجدي

(المنار) : مادخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوربا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كلٌّ يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا شرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأمم » ومستقبل الاسلام » ولكن شغلتنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية » ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الاغراض التي رمى اليها ونتائجه صحيحة وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب اليه بل التخيلات الخطابية والشعرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك اذا أريد به التأثر فيما يحمد وإنما يذم اذا كان خلابة وخداعاً . وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا ترجى للرجاء السيد منها وان عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدلاله بعدم تأثير المقالات الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فإن كل ما كتب بحق واخلاص قد أثر حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وإن عقلاء المسلمين يشتغلون الآن بما طالبهم به السيد وانما مطالبته لزيادة البيان والتنبيط والكمال . وإنما لم يظهر أثر كبير لسببهم لضعف الاستعداد . لكل أجل كتاب . وفي هذه المقالة موافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهما وهو السديد . ولتعلمن نبأه بعد حين .

التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أمرهما مبهماً . ومستقبل أمرهما مجهولا وتعليق مستقبل الاسلام عليهما لا يحث المسلمين على عمل ، ولا يحيي في نفوسهم ميت الأمل . نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من أسرار الخليقة تأييداً للإسلام سواء كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للاسلام لأنه دين الفطرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العليا عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي أضيفت اليه كما قلناه مراراً . وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سير البشر عند ما كانوا على الإسلام السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللكاتب الثاني إعمال قلميهما في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما ولا تناقض في الحقيقة وكل ما كتبا لا يمنعنا من نشر ما كنا شرعنا فيه ولكنه كفانا مؤنة التطويل . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .